سلسلة بحوث العلمانية

٣

خطر العلمانية

الطبعة الثانية

المهندس حيدر القريشي

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب: خطر العلمانية
تأليف: المهندس حيدر القريشي
الطبعة: الثانية
عدد النسخ: ٣٠٠٠٠
التصحيح اللغوي: نوره الهيدان
التنضيد الالكتروني : حسين علي
تصميم : حيدر القريشي

العلمانية وخطرها على المسلمين

بســـم الله والصلاة والســـلام على رســـول الله وعلى آله وصحبـــه أجمعين..... أما بـــعد: فإني اخترت الكتابـــة في هذا الموضوع لما أرى من أهمية الكتابة فيه لانتشار هذه الفرقة في زماننا هذا، انتشر دائها وفشى وبالها وإلى الله المشتكى ولا حول ولا قوة إلا بالله.

تعريف العلمانية: قد كفتنا القواميس المؤلفة في البلاد الغربية التي نشأت فيها العلمانية، مؤونة البحث والتنقيب، فقد جاء في القاموس الإنجليزي أن كلمة (علماني) تعني:

١. دنيوي أو مادي.

٢. ليس بديني أو ليس بروحاني.

٣. ليس بمترهب، ليس برهباني.

وجاء أيضاً في نفس القـاموس بـيان معنى كلمة العلمانية حـيث يقول:

العلمانية: هي النظرية التي تقـــول: إن الأخلاق والتعليم يجب أن لا يكونا مبـــنيين على أســـس دينية. وفي دائرة المعارف البريطانية نجدها تذكر عن العلمانية: أنها حركة اجتماعية تهدف إلى نقـل الناس من العناية بـــالآخرة إلى العناية بـــالدار الدنيا فحســـب. ودائرة المعارف البريطانية حـينما تحدثت عن العلمانية تحدثت عنها ضمن حـديثها عن الإلحاد، وقد قسمت دائرة المعارف الإلحاد إلى قسمين:

١. إلحاد نظري.

٢. إلحاد عملي، وجعلت العلمانية ضمن الإلحاد العملي. وما تقـــدم

ذكره يعني أمرين:

أولهما: أن العلمانية مذهب من المذاهب الكفرية: التي ترمي إلى عزل الدين عن التأثير في الدنيا فهو مذهب يعمل على قيادة الدنيا في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والقانونية وغيرها بعيداً عن أوامر الدين ونواهيه.

ثانيهما: أنه لا علاقة للعلمانية بالعلم كما يحاول بعض المراوغين أن يلبس على الناس بأن المراد بالعلمانية: هو الحرص على العلم التجريبي والاهتمام به. فقد تبين كذب هذا الزعم وتلبيسه وبما ذكر من معاني هذه الكلمة في البيئة التي نشأت فيها. ولهذا لو قيل عن هذه الكلمة (العلمانية) إنها: اللادينية لكان ذلك أدق تعبيراً وأصدق. وكان في الوقت نفسه أبعد عن التلبيس وأوضح في المدلول.

كيف ظهرت العلمانية:

كان الغرب النصراني في ظروفه الدينية المتردية هو البيئة الصالحة والتربية الخصبة التي نبتت فيها شجرة العلمانية وترعرعت. وقد كانت فرنسا بعد ثورتها المشهورة هي أول دولة تقيم نظامها على أساس الفكر العلماني. ولم يكن هذا الذي حدث من ظهور الفكر العلماني والتقيد به بما يتضمنه من إلحاد وإبعاد للدين عن كافة مجالات الحياة بالإضافة إلى بغض الدين ومعاداته ومعاداة أهله. لم يكن هذا حدثاً غريباً في بابه ذلك لأن الدين عندهم حينئذٍ لم يكن يمثل وحي الله الخالص الذي أوحاه إلى عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام وإنما تدخلت فيه أيدي التحريف والتزييف. ولم تكتف الكنيسة - الممثلة

للدين عندهم - بما عملته أيدي قسيسيها ورهبانها من التحريف والتبديل حتى جعلت ذلك دينا يجب الالتزام والتقيد به. ومن جانب آخر فإن الكنيسة أقامت تحالفاً غير شريف مع الحكام الظالمين وأسبغت عليهم هالات من التقديس والعصمة وسوغت لهم كل ما يأتون به من جرائم وفظائع في حق شعوبهم زاعمةً أن هذا هو الدين الذي ينبغي على الجميع الرضوخ له والرضا به. من هنا بدأ الناس هناك يبحثون عن مهرب لهم من سجن الكنيسة ومن طغيانها ومن ذلك أعلنوها حرباً على الدين عامة. فإن كل الأفكار والمناهج التي ظهرت في الغرب بعد التنكر للدين والنفور منه ما كان لها أن تجد آذاناً تسمع في بلاد المسلمين لولا عمليات الغزو الفكري المنظمة والتي صادفت في الوقت نفسه قلوباً من حقائق الإيمان خاوية وعقولاً عن التفكير الصحيح عاطلة ودنيا في مجال التمدن ضائعة متخلفة. ولقد كان للنصارى العرب المقيمين في بلاد المسلمين دور كبير وأثر خطير في نقل الفكر العلماني إلى ديار المسلمين والترويج له والمساهمة في نشره عن طريق وسائل الإعلام المختلفة. كما كان أيضا للبعثات التعليمية التي ذهب بموجبها طلاب مسلمون إلى بلاد الغرب لتلقي أنواع العلوم الحديثة أثر كبير في نقل الفكر العلماني ومظاهره إلى بلاد المسلمين حيث افتتن الطلاب هناك بما رأوا من عادات وتقاليد ونظم اجتماعية وسياسية واقتصادية عاملين على نشرها والدعوة إليها في الوقت نفسه الذين تلقاهم الناس فيه بالقبول الحسن توهماً منهم أن هؤلاء المبعوثين هم حملة العلم النافع وأصحاب المعرفة الصحيحة ولم تكن تلك العادات والنظم والتقاليد التي تشبع بها هؤلاء

المبعوثون وعظموا شأنها عند رجوعهم إلى بلادهم إلا عادات وتقاليد ونظم مجتمع رافض لكل ما له علاقة أو صلة بالدين.

صور العلمانية:

للعلمانية صورتان كل صورة منهما أقبح من الأخرى:

الصورة الأولى: العلمانية الملحدة: وهي التي تنكر الدين كلية وتنكر وجود الله الخالق البارئ المصور ولا تعترف بشيء من ذلك بل وتحارب وتعادي من يدعو إلى مجرد الإيمان بوجود الله وهذه العلمانية على فجورها ووقاحتها في التبجح بكفرها إلا أن الحكم بكفرها أمر ظاهر ميسور لكافة المسلمين فلا ينطلي بحمد الله أمرها على المسلمين ولا يقبل عليها من المسلمين إلا رجل يريد أن يخرج عن دينه. وخطر هذه الصورة من العلمانية من حيث التلبيس على عوام المسلمين ضعيف وإن كان لها خطر عظيم من حيث محاربة الدين ومعاداة المؤمنين وحربهم وإيذائهم بالتعذيب أو السجن أو القتل.

الصورة الثانية: العلمانية غير الملحدة: وهي علمانية لا تنكر وجود الله وتؤمن به إيماناً نظرياً لكنها تنكر تدخل الدين في شؤون الدنيا وتنادي بعزل الدين عن الدنيا. وهذه الصورة أشد خطراً من الصورة السابقة من حيث الإضلال والتلبيس على عوام المسلمين فعدم إنكارها لوجود الله وعدم ظهور محاربتها للتدين يغطي على أكثر عوام المسلمين حقيقة هذه الدعوة الكفرية فلا يتبينون ما فيها من الكفر لقلة علمهم ومعرفتهم الصحيحة بالدين. ومثل هذه الأنظمة العلمانية اليوم تحارب الدين حقيقة وتحارب الدعاة إلى الله وهي آمنة مطمئنة أن

يصفها أحد بالكفر والمروق من الدين لأنها لم تظهر بالصورة الأولى وما ذلك إلا لجهل كثير من المسلمين والله المستعان .

خلاصة القول:

أن العلمانية بصورتيها السابقتين كفر بواح لاشك فيه ولا ريب وأن من آمن بأي صورة منها وقبلها فقد خرج من دين الإسلام والعياذ بالله وذلك لأن الإسلام دين شامل كامل فقد قال تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة)) وقال تعالى مبيناً كفر من أخذ بعضاً من مناهج الإسلام ورفض البعض: ((أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون...)).

نتائج العلمانية في العالم العربي والإسلامي:

قد كان لتسرب العلمانية إلى المجتمع الإسلامي أسوأ الأثر على المسلمين في دينهم ودنياهم. وها هي بعض الثمار الخبيثة للعلمانية:

١. رفض الحكم بما أنزل الله سبحانه وتعالى. وإقصاء الشريعة عن كافة مجالات الحياة. والاستعاضة عن الوحي الإلهي المنزل على سيد البشر محمد بن عبد الله صلى الله عليه واله وسلم بالقوانين الوضعية التي اقتبسوها عن الكفار المحاربين لله ورسوله واعتبار الدعوة إلى العودة إلى الحكم بما أنزل الله وهجر القوانين الوضعية اعتبار ذلك تخلفاً ورجعية وردة عن التقدم والحضارة وسبباً في السخرية من أصحاب هذه الدعوة واحتقارهم وإبعادهم عن تولي الوظائف التي تستلزم الاحتكاك بالشعب والشباب حتى لا يؤثروا فيهم.

٢. تحريف التاريخ الإسلامي كتزيفه: وتصوير العصور الذهبية لحركة الفتوح الإسلامية على أنها عصور همجية تسودها الفوضى والمطامع الشخصية.

٣. إفساد التعليم وجعله خادماً لنشر الفكر العلماني وذلك عن طريق:

ا - بث الأفكار العلمانية في ثنايا المواد الدراسية بالنسبة للتلاميذ والطلاب في مختلف مراحل التعليم.

ب - تقليص الفترة الزمنية المتاحة للمادة الدينية إلى أقصى حد ممكن.

ج - منع تدريس نصوص معينة لأنها واضحة صريحة في كشف باطلهم.

د - تحريف النصوص الشرعية عن طريق تقديم شروح مقتضبة ومبتورة لها بحيث تبدو وكأنها تؤيد الفكر العلماني أو على الأقل أنها لا تعارضه.

هـ - إبعاد الأساتذة المتمسكين بدينهم عن التدريس ومنعهم من الاختلاط بالطلاب. وذلك عن طريق تحويلهم إلى وظائف إدارية أو عن طريق إحالتهم إلى المعاش.

و - جعل مادة الدين مادة هامشية حيث يكون موضوعها في آخر اليوم الدراسي وهي في الوقت نفسه لا تؤثر في تقديرات الطلاب.

٤. إذابة الفوارق بين حملة الرسالة الصحيحة، وهم المسلمون وبين أهل التحريف والتبديل والإلحاد، وصهر الجميع في إطار واحد وجعلهم

جميعا بمنزلة واحدة من حيث الظاهر وإن كان في الحقيقة يتم تفضيل أهل الكفر والإلحاد والفسوق والعصيان على أهل التوحيد والطاعة والإيمان. فالمسلم والنصراني واليهودي والشيوعي والمجوسي والبرهمي كل هؤلاء وغيرهم في ظل هذا الفكر في منزلة واحدة يتساوون أمام القانون، لا فضل لأحد على الآخر إلا بمقدار الاستجابة لهذا الفكر العلماني. وفي ظل هذا الفكر يكون زواج النصراني أو اليهودي أو البوذي أو الشيوعي بالمسلمة أمراً لا غبار عليه ولا حرج فيه، وكذلك لا حرج عندهم أن يكون اليهودي أو النصراني أو غير ذلك من نحل الكفر حاكماً على بلاد المسلمين. وهم يحاولون ترويج ذلك في بلاد المسلمين تحت ما أسموه بـ ((الوحدة الوطنية)).

٥. نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية، وتهديم بنيان الأسرة باعتبارها النواة الأولى في البنية الاجتماعية، وتشجيع ذلك والحض عليه: وذلك عن طريق:

أ - القوانين التي تبيح الرذيلة ولا تعاقب عليها وتعتبر ممارسة الزنا والشذوذ من باب الحرية الشخصية التي يجب أن تكون مكفولة ومصونة.

ب - وسائل الإعلام المختلفة من صحف ومجلات وإذاعة وتلفاز التي لا تكل ولا تمل من محاربة الفضيلة، ونشر الرذيلة بالتلميح مرة وبالتصريح أخرى ليلاً ونهاراً.

ج - محاربة الحجاب وفرض السفور والاختلاط في المدارس والجامعات والمصالح والهيئات.

٦. محاربة الدعوة الإسلامية عن طريق:

أ - تضييق الخناق على نشر الكتاب الإسلامي. مع إفساح المجال للكتب الضالة المنحرفة التي تشكك في العقيدة الإسلامية والشريعة الإسلامية.

ب - إفساح المجال في وسائل الإعلام المختلفة للعلمانيين المنحرفين لخاطبة أكبر عدد من الناس لنشر الفكر الضال المنحرف، ولتحريف معاني النصوص الشرعية. مع إغلاق وسائل الإعلام في وجه علماء المسلمين الذين يبصرون الناس بحقيقة الدين.

٧. مطاردة الدعاة إلى الله، ومحاربتهم. وإلصاق التهم الباطلة بهم. ونعتهم بالأوصاف الذميمة. وتصويرهم على أنهم جماعة متخلفة فكرياً ومتحجرة عقلياً، وأنهم رجعيون يحاربون كل مخترعات العلم الحديثة النافعة وأنهم متطرفون متعصبون لا يفقهون حقيقة الأمور بل يتمسكون بالقشور ويدعون الأصول.

٨. التخلص من المسلمين الذين لا يهادنون العلمانية. وذلك عن طريق السجن أو النفي.

٩. إنكار فريضة الجهاد في سبيل الله، ومهاجمتها واعتبارها نوعاً من أنواع الهمجية وقطع الطريق. والقتال المشروع عندهم إنما هو القتال للدفاع عن المال أو الأرض.

١٠. الدعوة إلى القومية أو الوطنية. وهي دعوة تعمل على تجميع الناس تحت جامع وهمي من الجنس أو اللغة أو المكان أو المصالح على أن لا يكون الدين عاملاً من عوامل التجميع، بل الدين من منظار هذه الدعوة يعد عاملاً من أكبر عوامل التفرق والشقاق.

الخطر الأخلاقي والاجتماعي والفكري للحداثة

أولا: الخطر الأخلاقي والاجتماعي:

إذا كانت الإباحية والتحلل إحدى أبرز خصائص العلمانية فإن لذلك مخاطر أخلاقية واجتماعية كبيرة. فبينما الإسلام يحث على العفة، ويرسم للمسلم منهج التعفف إذا بالإباحيين ينادون باستحلال الفروج، والنكاح بلا عقود، ويصفون في أشعارهم الصدور والنهود والشعور، بلا حياء ولا حرج. وعلى الصعيد الاجتماعي نرى الخطر الداهم من وراء فكر العلمانية حيث أطلق العلمانيون قضية الفحولة والأنوثة، أو النقد النسوي(١)؛ "ولكي نفهم قضية الفحولة والأنوثة التي يثيرها المنتحلون لا بد من العودة إلى جذور هذه الدعوة في محاولة تلخيصية توضيحية تناسب المقام.

١. تقوم الفكرة أصلاً على قاعدة من الفلسفة المادية التي تنكر أي وجود جوهري للإنسان مستقل عن المادة وحركتها،

٢. الفكرة المادية الشمولية، تشكل إطاراً مرجعياً (نسقياً) في أذهان المتأثرين به، بما في ذلك الذين لا يستبعدون الدين نهائياً،

٣. الفلسفة العقلانية المادية في تعاملها مع الإنسان تنظر إليه في إطار نظرة تحليلية مادية تلغي كل الخصائص غير الطبيعية، ثم تقوم بتشريحه (تفكيكه) إلى عناصره المادية الأولية.

٤. من منطلقات هذه الفلسفات كان الهجوم المادي العنيف على الطبيعة الإنسانية، والسمات البشرية التي تميز الإنسان عن غيره.

والمقومات الفطرية التي لها أثر في تحديد نوعية نشاط الإنسان بناءً على جنسه وخلقته.

٥. من معطيات الهجوم المادي على الطبيعة الإنسانية والفطرة الخلقية للإنسان كانت دعوات الشذوذ الجنسي، والدعوة إلى تقنينه وتطبيعه اعتماداً على إلغاء ثنائية الذكر والأنثى، المستندة أصلاً إلى المعيارية الإنسانية، المستمدة من معيارية وجود خالق ومخلوق.

٦. من تطبيقات هذه المبادئ ظهرت حركات تحرير المرأة والدفاع عن حقوقها، ثم ظهر من سنوات قريبة مصطلح (الأنوثة Fenminism) وحل محل حركة تحرير المرأة.

٧. مذهب (الأنوثة) يقوم على رؤية تفترض مركزية الإنسان واستغنائه بذاته. وينطلق البرنامج الثقافي والفكري والاجتماعي لعقيدة (الأنوثة) من منطلق (مركزية المرأة) و (المرأة أولاً). ومن قاعدة أن الأنثى دائماً في حالة صراع كوني مع الرجل، مع السلطة الأبوية والزوجية. ومن هنا ظهرت نظريات عن أنوثة الإله - تعالى الله - وعن التفسير الأنثوي للتاريخ، وعن تأنيث اللغة، إلى آخر ما هنالك من أفكار ومذاهب تقوم على استحالة التواصل بين الذكر والأنثى؛ لأنهما في صراع مستمر لا ينقطع، ومهمة الدعوات (الأنثوية) تحطيم الفحولة والقضاء على الرجل المتسلط، وتحسين أداء الأنثى في عملية الصراع هذه.

٨. من هنا يتم الهجوم على (الفحولة) أو ما يعبر عنه بـ (ذكورية اللغة) الذي هو في حقيقته هجوم على اللغة ذاتها وتشويهها، والتلاعب بمدلولاتها الحقيقية، بل المجازية أيضاً.

٩. آخر المطاف وليس نهايته يصل مذهب (الأنوثة) ومقاومة الفحولة وتحطيم الرجل العدو اللدود للمرأة - حسب نظريتهم- يصل المذهب إلى (الجنوسة).

(Gender الجندر) الذي: هو عبارة عن زيادة التمركز حول المرأة. وإيقاد نيران الصراع مع الرجل. والجنوسة أو الجندر يعود في أصله إلى مصطلح لغوي ألسني. ومن هنا يمكن تلمس منابع مصطلحات (الفحولة) و (الأنوثة) في الخطاب المذكور.(٢) وتعتمد (الجنوسة) أو الجندر على إلغاء أي شكل أو نوع من أنواع التمايز بين الرجل والمرأة. تحت ذريعة إخراج المرأة من الهيمنة والسلطة والتسلط. وحصار الهوية. وهوس الفضيلة ونحو ذلك. والجنوسة في الفكر الغربي حاولت تحييد الرجل وإبعاده. والعجيب أن ذلك تم بأفكار ومنطلقات (ذكورية) تزداد فيها سيطرة الرجل على الأنثى. وتتسع بها مجالات استمتاعه بها. كما هو حاصل في دعوات تحرير المرأة ودعوات الأنوثة. وقد زعمت هذه الأفكار بأنها سوف تقلب بنية التضاد بين الذكر والأنثى، لكي تصبح الأنثى أصلاً والذكر فرعاً. وهذه الدعاوى المستندة على الفكر المادي التصارعي لن تستطيع فعل شيء في هذا المضمار. سوى أنها ستستخدم آلية القمع التي تزعم أنها جاءت لمناهضتها. وتوقع الأنثى في شراك خادع وفخاخ انتهازية شهوانية ذرائعية نصبها لها الرجل.

١٠. إن التطبيق العلمي لدعوة (الأنوثة) أو (الجنوسة) ومحاربة (الذكورة) والقضاء على (الفحولة) تعني إلغاء أشكال السلطة المعروفة في الحياة الاجتماعية. والمستعيرون لهذه الأفكار من أبناء المسلمين لا يخفون

ذلك، بل يعتبرونه مجداً وفخراً وإنجازاً. ولو كانت هذه السلطة هي حق الله ـ تعالى ـ في التشريع والأمر والنهي، وهي ما يسمونه القضاء على (الأنا المتعالية) التي تمتد أيضاً لتصل إلى سلطة الأب على ابنته؛ فالأب ذكر فحل والبنت أنثى، أو سلطة الزوج الفحل أو سلطة النظام الذي يمثل الخطاب الفحولي، أو سلطة المدرس الذي يتمتع بالصلاحيات الفحولية. ثم يستمر الهوس (الأنثوي) (الجنسوي) (الجندري) عند هؤلاء لتطالع مفرداتهم من قبيل: (تدوين الأنوثة، تأنيث المكان، استرداد اللغة لأنوثتها، تأنيث الذاكرة)، ونحو ذلك من المصطلحات والمفردات المكتوبة بحروف عربية وأفكار غربية، لا يتورع صاحبها أن يصف كل خطاب ونص له هيمنة بأنه خطاب (فحولي) (ذكوري) يجب أن تسحب منه هذه الصلاحيات، ويفكك ويشرّح ليعود إلى الأصل، وهي الأنثى كما سمت نوال السعداوي كتابها (الأنثى هي الأصل) في خطاب يستند إلى الماركسية والتحليل الفرويدي، وهو خطاب صريح واضح وعدواني إلى الحد الذي جعل جورج طرابيشي يصفها بأنها (أنثى ضد الأنوثة)، بعكس خطاب الغذامي(٣) ونظرياته المستعارة في الفحولة والأنوثة فإنها تؤصل وتضرب الأعماق من بعيد، بطريقة (فحولية) أيضاً ويا للعجب! ومن يتتبع مسيرة حركات التحرر ثم الأنوثة ثم الجنوسة والسياق المستعار عند فاطمة المرنيسي - مثلاً - ثم عند عبد الله الغذامي يجد القدرة على استقبال الأفكار وإعادة صياغتها ونشرها باللغة العربية، لقد قدم الغذامي كتبه الثلاثة عن المرأة (المرأة واللغة) و (المرأة واللغة: ثقافة الوهم) و(تأنيث القصيدة والقارئ المختلف) وهو

يحوم حول مفاهيم مستعارة وشواهد مجتزأة، لا ليصل إلى حلول عملية تجلب المصالح الحقيقية للمرأة، وتدفع المفاسد عنها، وإنما ليتحدث منتشياً بقدرته على التعاطي مع السوق النقدية العربية وفق نظام العرض والطلب، المتساوق مع رهج العولمة وزخمها السياسي والاقتصادي والإعلامي،.. ثم هناك البعد الأخلاقي الخطير في دعوة (التأنيث) هذه؛ وذلك لامتلائها صراحة بالتحريض ضد الرجل، والتحريض ضد معالم الرجولة أو ما يسميه الفحولة، والتأجيج التاريخي واللغوي والعاطفي بين جنسين خلقهما الله ليتكاملا لا ليتصارعا، ومما يؤكد ذلك ما نقلته الناقدة (ضياء الكعبي)، وأشارت إليه في سياق دراستها لبعض مؤلفات الغذامي، وهي دراسة إطرائية متساوقة مع الغذامي إلى حد كبير، تقول الكاتبة: عندما تلقيت كتاب (المرأة واللغة) للمرة الأولى بسملت، وحوقلت... وأذكر ما قالته لي صديقة متزوجة إنها عندما قرأت هذا الكتاب وصلت إلى مرحلة التطهير الأرسطي؛ فتمنت في عقلها الباطن أن تقتل زوجها انتقاماً من جنس الرجال قاطبة وما فعلوه بالنساء، وقتها حمدت الله أني لست متزوجة؛ كي لا يكون مصير زوجي التقطيع في أكياس، إذن نستعيذ بالله من فتنة القراءة الغذامية ومن شر إغوائها...

وغني عن القول أن هذه النظرية تصوغ المرأة إما أنها أكثر من أنثى أي (عدو للذكر) وخصم له، وإما أنها أقل من أنثى (متطابقة مع الرجل) باسم الجنوسة أو الجندر أو اليوني سكس، وفي كلتا النظريتين تسقط المرأة بوصفها الأم الحنون، والزوجة الرؤوم، والبنت البرة، والأخت

الوفية. والمربـيـة البـــانية. والمعلمة الحانية. ويحل محلها المرأة المتصارعة مع الرجل أباً كان أو زوجاً أو ابناً أو أخاً وبهذا السقوط تسقط الروابط الاجتماعية تحت حرب ميليشيات دعاة (الأنوثة) و (الجنوسة)، وبذلك تسقط الأسرة في الحرب المفتعلة بين الذكور والإناث، وبذلك يتلاشى جوهر الوجود الإنساني، إذ يصبح كل فرد عبارة عن وجود رقمي مستقل. يعيش مصلحته الخاصة. ورغباته الذاتية. ويسقط في قبضة الحياة المادية الساحقة. وينزلق في حرب مستمرة قاتلة لكلا الطرفين"(٤).

ثانيا :الخطر الفكري:

يحمل الفكر العلماني في جملته مجموعة من التوجهات في غاية الخطورة على كافة جوانب الحياة الإسلامية. من هذه الأفكار والتوجهات تلك النقمة على تراث الأمة التي يلح عليها أصحاب هذا الفكر . ولا ندري ماذا بين هؤلاء وبين تراث الأمة الذي أنتجته العقول الإسلامية خلال أربعة عشر قرنا. واستفادت من أمم الأرض وتقدمت به. هل التقدم مرهون في نظر هؤلاء بنبذ التراث والانقلاب عليه. أم أنها العمالة للغرب والارتماء في أحضانه؟ ولم يتوجه هؤلاء إلى محاربة الدين الإسلامي؟ هل كان ديننا يوما ما سببا في تخلف الأمة؟ أم أنه لابد من إعلان الكفر حتى نلحق بركب التقدم؟ وما العلاقة بين هذه المتناقضات؟ إن كانت النصرانية المحرفة هي سبب التخلف في أوربا. ولم يشم الغرب رائحة الحرية والتقدم إلا بنبذ الدين. فإن ديننا على العكس من ذلك. فتقدم المسلمين مرتبط قطعا وحتما بالعودة إلى دينهم.

إن الفكر العلماني أنشـأ الكبر والغرور في الفكر عندما أعلن مبـدأ العقلانية، أو تأليه العقل على نحو ما ذكرنا في مبادئ العلمانية، حيث جعل العقل حاكما على كل شيء، كما أنه في ذات الوقت أورث الحيرة والشكوك بمنهجه الشكي، ومن هنا لجأ هؤلاء إلى الغموض والإغراب في كل شـيء والفكر العلماني عندما ظهر لم يقـدم مشـروعا أو نظرية إصلاحية لحل مشاكل الأمة المهلهلة إنما جاء بـفكر مضطرب وصفه أصحابـه بـالهدم، والقـلق، والاضطراب، والقـطيعة، إلى غير ذلك مما يزعزع العقل المسلم ويشوش عليه، إن فكرة عدم الثبات في كل شـيء، وفكرة التغير المسـتمر، وفكرة الصيرورة إلى آخر تلك الترهات المخالفة للمنطق والواقـع والدين، كل هذه الأفكار تحير العقـل ولا تجعل له منهجا يوثق بـه، لأنه لا شـيء يوثق بـه بـناء على الفكر العلماني، وهذا ضرب للواقع الفكري الإسلامي الذي يؤمن بالثوابت والمتغيرات، ثوابت هي محور وجوده وكينونتـه، ومتغيرات تعطيـه المرونـة والتكيف مع الزمان كله والمكان كله، ومن هنا فالفكر العلماني يعد على الثوابـت التي هي عناصر وجود الأمة ودوامها، ومن مخاطر العلمانية الفكرية أنها ترسم منهجا منحرفا لحياة الإنسـان يخالف منهج الله تعالى الذي رسـم منهج السـعادة له في الدنيا وفي الآخرة، فالعلمانيون يرسمون "الصورة المنحرفة لسعي الإنسان إلى التغير، وسعيه وراء الجديد، سعيا متفلتا من الإيمان والتوحيد، غارقـا في ظلام الشـرك والإلحاد، سـعيا يجمع اليوم خبرة آلاف السنين في الانحراف والشذوذ، والأمراض النفسية والعصبـية، والشـر والفسـاد في الأرض وطغيان الشـهوة الجنسـية المتفلتة الملتهبـة،

وفورة سائر الشهوات المدمرة، وسيطرة الخمور والأفيون والمخدرات، لتدفع هذه كلها أو بعضها، ردود فعل نفسية عنيفة غير واعية، تظهر في الفكر والأدب والسلوك، في ثورة هائجة تحاول هدم الماضي بصورة مستمرة متتالية، حتى لا يبقى حسب ظن رجالها شيء ثابت في الحياة، في هجوم جنوني على الدين واللغة، وعلى التراث كله بما فيه من خير وشر، وثورة على الحياة، وعلى سنن الله في الكون، بين قلق الشك والريبة، وفجور الكبر والغرور، إنها تمثل انحطاط الإنسان إلى أسفل سافلين بما كسبت يداه".

خلاصة القول:

أنه لا يتصور إصلاح يحمله الفكر العلماني وهو في حقيقته خليط من فكر ماركسي ووجودي، ونصراني، وكل ألوان الفلسفة الغربية الملحدة والمنحرفة عن الفطرة والعقل والهداية، ومع كل هذا راج هذا الفكر في البلاد العربية، لا لأنه فكر صالح ينهض بالأمة ويغير حالها إلى الأفضل إنما كان رواجه لسببين هما:

١. جنوح الناس إلى الخروج عن المألوف ولهاثهم خلف (العصرنة!).

٢. الخلط بين العلمانية وإن شئت فقل بين الهدم والتجديد.

❁❁❁

الهوامش

(١) ظهر هذا النقد النسوي كخطاب منظم في الستينات الميلادية، واعتمد على حركات تحرير المرأة التي طالبت بحقوق المرأة المشروعة في العالم الغربي، ولا تزال حركة النقد النسوي على صلة وثيقة

بحركات النساء المطالبة بالمساواة والحرية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. وتعد (فرجينيا وولف) من رائدات حركة هذا النقد حينما اتهمت العالم الغربي بأنه مجتمع (أبوي) منع المرأة من تحقيق طموحاتها الفنية والأدبية إضافة إلى حرمانها اقتصاديا وثقافيا. وفي فرنسا تزعمت الحركة البغي المشهورة (سيمون دي بوفوار)، وزعمت أنه لا بد من خلع المرأة من تبعيتها للرجل، حتى لا يكون للرجل سمة الهيمنة والأهمية. وفي الجملة هي حركة يصل الأمر بها إلى ضرورة أن تكون المرأة هي الأصل والرجل هو الفرع وأن تزال كل الفوارق الطبيعية وغير الطبيعية بينهما. انظر : دليل الناقد الأدبي د. ميجان الرويلي .د. سعد البازغي ص ١٦- ١٦٤ ط الأولى دار العبيكان- السعودية ١٩٩٥- ١٤١٥هـ. والمرأة والجندر. د. أميمة أبو بكر .د. شيرين شكري ص ٩٣. دار الفكر دمشق. دار الفكر المعاصر بيروت.

(٢) انظر تفاصيل ذلك: المرأة والجندر . ص ٩٣ - ١١٥ . مصدر سابق.

(٣) هو: عبد الله محمد الغذامي. استاذ النقد والنظرية قسم اللغة العربية. كلية الآداب. جامعة الملك سعود .من مواليد عنيزة بالسعودية عام ١٩٤٦م .حصل على الدكتوراه من بريطانيا ١٩٧٨ م.

(٤)انظر : مقال الغامدي في الشبكة الإسلامية مصدر سابق. المرأة والجندر الفصل الأول. ص٣٥ ط أولى السعودية.